قسطنطين، وهو يرتدي اللباس الملكي Trabea، ذلك أنه هو ووالدته حنة قد أسسا الكنيسة، وهناك أيضاً خلف الرسل رئيس الملائكة ميكائيل وهو يتلألأ بأشعة رائعة، ويتبع هذا على اليسار صف فيه ثلاثة عشر نبياً، كلهم قد أداروا وجوههم نحو الطفل الجميل، وتوجهوا إليه بالخطاب بكل احترام، حاملين في أيديهم نبواتهم التي أوحي لهم بها في القديم، وجلست في وسطهم الامبراطورة حنة المباركة، في مقابل ابنها، وهي تتلألأ بشكل مجيد، ويرسو فوق الجدار نفسه سقف من الرصاص، مستند على عوارض خشبية قبرصية مائلة، وفي وسط هذا السقف فتحة دائرية كبيرة، يدخل من خلالها الضوء من الأعلى، وينير الكنيسة كلها، لأنها لاتمتلك نافذة أخرى مهما كان نوعها.

### ٧— *شرفة جوقة الرهبان النظاميين*

زيادة على هذا، هناك إلى جوار هذه الكنيسة، معبد، أو قدس الأقداس، وهو عمل فني رائع، وقد بني بالتتابع من قبل الفرنجة، الذين يغنون هناك بشكل جميل جداً أغان الشكر والمدح، في خلال كل من النهار والليل، أو أن تقول خلال الساعات النظامية، وفقاً لطريقة العذراء مريم، وفي أيديهم أوقاف كنسية، ومخصص لهم نصف التقدمات إلى الضريح المقدس بمثابة دخل، بينما جرى تخصيص النصف الآخر لاستخدامات البطريرك، وجرى تكريس المذبح العلوي على اسم مولانا ومخلصنا وعلى شرفه، ويوجد خلفه كرسي البطريرك، الذي علّق فوقه من قوس المعبد، صورة كبيرة مزينة لسيدتنا، وصورة للقديس يوحنا المعمدان، وصورة ثالثة لجبرائيل المقدس الذي كان إشبينها، وجرى في السقف الداخلي تمثيل مولانا يسوع المسيح، وهو ممسك صليبه بشماله، وحامل آدم بيمينه، وهو ينظر بأبهة ملكية نحو السماء، وقد رُفعت قدمه اليسرى في خطوة هائلة، بينما ظلت قدمه اليمنى مستندة على الأرض، وقد فعل ذلك وهو يدخل إلى السماء، وتبع هذا وقوف أمه، والقديس

يوحنا المعمدان وجميع الرسل من حوله، ويوجد تحت قدمه مدرج مكتوب عليه، وهو ممتد عبر القوس كله من طرف جدار إلى الطرف الآخر، وهو يحتوي على النقش التالي:

«إحمده وهو الذي صلب بالجسد،

ومجّده وهو الذي دفن من أجلنا،

اعبده فهو الذي قام من الموت.»

ويوجد خلف هذا مدرج مكتوب أعلى امتد عبر القوس نفسه، وقد نقش عليه مقطع من الكتابات المقدسة هو التالي:«صعد المسيح إلى الأعلى، وقاد معه جسداً أسيراً، وأعطى أعطيات إلى الناس»(المزامير : ٦٨ / ١٨)، وهناك في حوالي وسط شرفة الجوقة مذبح صغير مفتوح، له قداسة عظيمة، ورسم على البلاط هناك صليب، نقش داخل دائرة، وفي هذا إشارة وتنبيه على أنه على هذه البقعة مدد يوسف ونيقوديموس جسد ربنا، من أجل غسله بعد إنزاله من على الصليب، ويوجد قبل باب شرفة جوقة المرتلين مذبح له حجم ليس صغيراً، وهو على كل حال يستخدم من قبل السريان في طقوسهم، وعندما كانت تنتهي طقوس اللاتين اليومية، اعتاد السريان على إنشاد تراتيلهم إما خارج شرفة جوقة المرتلين أو في واحد من أركان الكنيسة، وفي الحقيقة لديهم في الكنيسة عدد من المذابح الصغيرة، معدّة ومكرسة لاستخداماتهم الخاصة، وهناك طوائف دينية تمارس طقوسها الدينية في الكنيسة في القدس هي: اللاتين، والأرمن، والإغريق، واليعاقبة، والنوبيين، وتختلف هذه الطوائف عن بعضها بعضاً في كل من اللغة، وفي طريقة أداء الطقوس المقدسة، ويستخدم اليعاقبة البوق في أيام أعيادهم، وذلك وفق طرائق اليهود.

### ٨— *النار المقدسة*

جرت العادة في كنيسة الضريح المقدس، أي في كل من الكنيسة نفسها وجميع الكنائس في المدينة، أنهم كانوا يقومون في صباح ليلة الفصح باطفاء جميع المصابيح الدنيوية، ويقومون بانتظار قدوم الضوء من السماء، ويعدون لتلقي هذا الضوء واحداً من المصابيح الفضية، التي جرى تعليق سبعة منها، استعداداً لذلك، ثم يقف جميع رجال الدين والشعب ينتظرون بقلق عظيم وتوقعات كبيرة، حتى يرسل الرب يده نحو الأسفل من الأعلى، وغالباً ما يكون هناك بين الصلوات صرخات بصوت مرتفع، لكن ليست بدون دموع فيها:«أعنا يارب» و«أعيننا أيها الضريح المقدس»، ويحمل في تلك الأثناء البطريرك، أو واحد من الأساقفة الآخرين، الذين احتشدوا هناك لاستقبال النار المقدسة، ومعهم بقية رجال الدين، صليباً فيه قطعة كبيرة من صليب مولانا قد أدخلت فيه، وذلك مع آثار مقدسة أخرى للقديسين، الذين غالباً ما يزورون الضريح المقدس للصلاة هناك، ويقومون أيضاً بانتظار هل أرسل الرب نور نعمته إلى الوعاء المعد لاستقباله، واعتادت النار على الظهور في ساعات محددة وفي أماكن معينة، وكانت تظهر في بعض الأحيان في حوالي الساعة الأولى، وأحياناً أخرى في حوالي الساعة الثالثة، أو السادسة، أو التاسعة، أو أنها قد تتأخر حتى آخر ساعات القداس، زد على هذا أنها كانت تأتي أحياناً إلى الضريح نفسه، أو إلى هيكل الرب، وأحياناً إلى كنيسة القديس يوحنا، وعلى كل حال عندما كنا نحن العبيد الحقراء ننتظر النار المقدسة مع الحجاج الآخرين، وصلت تلك النار المقدسة بعد الساعة التاسعة مباشرة، وعلى الفور قرعت النواقيس في الكنائس، وبدأت طقوس القداسات تحكى في المدينة كلها، وكانت طقوس التعميد والطقوس الأخرى قد جرى الاحتفال بها من قبل، وما أن وصلت النار المقدسة حتى نقلت إلى هيكل الرب، كما جرت العادة، وذلك قبل نقلها إلى أي مكان آخر، باستثناء أن البطريرك أشعل شمعته منها.

## ٩ — بيعة القديسة مريم والصليب المقدس. سجن الرب. مذبح القديس نيقولا. الباب الذي يؤدي إلى الدير.

ويوجد على الجانب الغربي من الكنيسة، قرب الباب، الذي يصعد منه الانسان أكثر من ثلاثين درجة من الكنيسة إلى الشارع، وفي مواجهة الباب نفسه، بيعة مكرسة للقديسة مريم، وهي ملك للأرمن، كما ويوجد على الجانب الأيسر من الكنيسة، باتجاه الشمال، بيعة مكرسة للصليب المقدس، وفيها جزء كبير من الخشبة المبجلة نفسها،محفوظة في وعاء من الذهب والفضة، وهذه البيعة بأيدي السريان، ومجدداً، هناك على الطرف نفسه، مقابل هذه البيعة، باتجاه الشرق، بيعة ذات قداسة خاصة، حيث فيها المذبح الأكثر قداسة، والمكرس للصليب المقدس، وقطعة كبيرة من الخشبة المقدسة نفسها مغطاة بالذهب والفضة والجواهر، ومحفوظة في وعاء هو الأجمل، ومن الممكن رؤيتها بسهولة، ولدى مقتضيات الحاجة اعتاد الصليبيون على حمل هذا الرمز المقدس ضد المسلمين في المعارك، وهذه البيعة مزينة أيضاً بشكل رائع بالفسيفساء، وكان امبراطور الرومان هرقل قد أنقذ هذا الصليب واسترده من كسرى، امبراطور الفرس، أثناء الحرب التي استعرت ضده، وأعاده إلى المسيحيين، وقرب هذه البيعة وعلى الجانب الشرقي منها، يدخل الانسان إلى بيعة مظلمة، وبوساطة حوالي العشرين خطوة، حيث فيها المذبح الأكثر قداسة، ومن الممكن أن يرى تحت البلاط علامة صليب، ويقال بأن مولانا يسوع المسيح قد سجن في هذا المكان، وقد انتظر في هذا المكان بيلاطس في موضع آلامه لمدة طويلة، حتى تمت تغطية وجهه، وأقيم الصليب ونصب فوق الجمجمة، وصار من الممكن تعليقه عليه، ويوجد أيضاً خلف هذه البيعة مذبح مكرس للقديس نيقولا ، وخلف هذا هناك باب الدير، الذي منه يدخل الانسان إلى دير الرهبان النظاميين، القائم قريباً من هناك حول المعبد، وبعدما يدور الانسان حول الدير، ويعاود الدخول

إلى الكنيسة من الجانب الآخر لهذا الباب، يلاحظ وجود صورة للمسيح على الصليب، مرسومة فوق الباب العائد للدير، وهي تلمع بشكل أخاذ، وتجعل الناظر إليها يشعر بالأسى العظيم، وقد كتب حول هذه الصورة الأبيات التالية:

«أنت يا من مضيت في هذا الطريق،
أنت قد سببت لي حزناً عظيماً،
أنا عانيت هذا من أجلك،
ومن أجلي تحاشى الآثام»

***١٠ — بيعة القديسة حنة. القبو الذي عثر فيه على الصليب.***

وينزل الانسان باتجاه الشرق ثلاثين درجة، لابل أكثر، إلى بيعة القديسة الامبراطورة حنة المبجلة، التي هي قائمة خارج الكنيسة نفسها، حيث هناك مذبح مقدس مكرس لها، وثانية ينزل الانسان من جهة اليمين خمس عشرة درجة أو بالحري أكثر من ذلك إلى كهف تحت الأرض، وعلى الجانب الأيمن من هذا الكهف يمكن للانسان أن يرى مذبحاً مفتوحاً، وتحته صليب محفور على البلاط، ويحكى أن الامبراطورة عثرت في هذه البقعة على صليب مولانا، وهناك صليب مذبح للقديس جيمس، وليس لهذه البيعة من نافذة غير الفتحة الكبرى الموجودة في سقفها.

***١١ — بيعة الجلد. قبر الدوق غودفري وقبور ملوك القدس. البيعة تحت برج الناقوس. بيعة القديس يوحنا المعمدان وأحوازها.***

هناك في جزء آخر من الكنيسة، أي في الجهة اليمنى، في خلف شرفة الجوقة مذبح لطيف، وذلك حيث يقوم العمود الذي ربط إليه مولانا